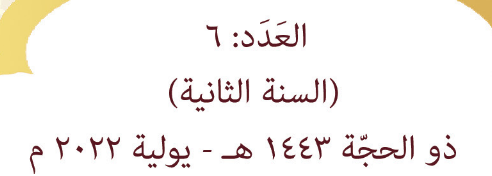


العَدَد: ٦

(السنة الثانية)

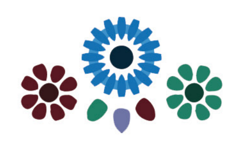
ذو الحجّة ١٤٤٣ هـ - يولية ٢٠٢٢ م



الصّدّيقيّة

مجلّة سُنِّية صوفيّة الكترونية تصدر عن

مؤسسة الصديقيّة للخدمات الثقافية والاجتماعية

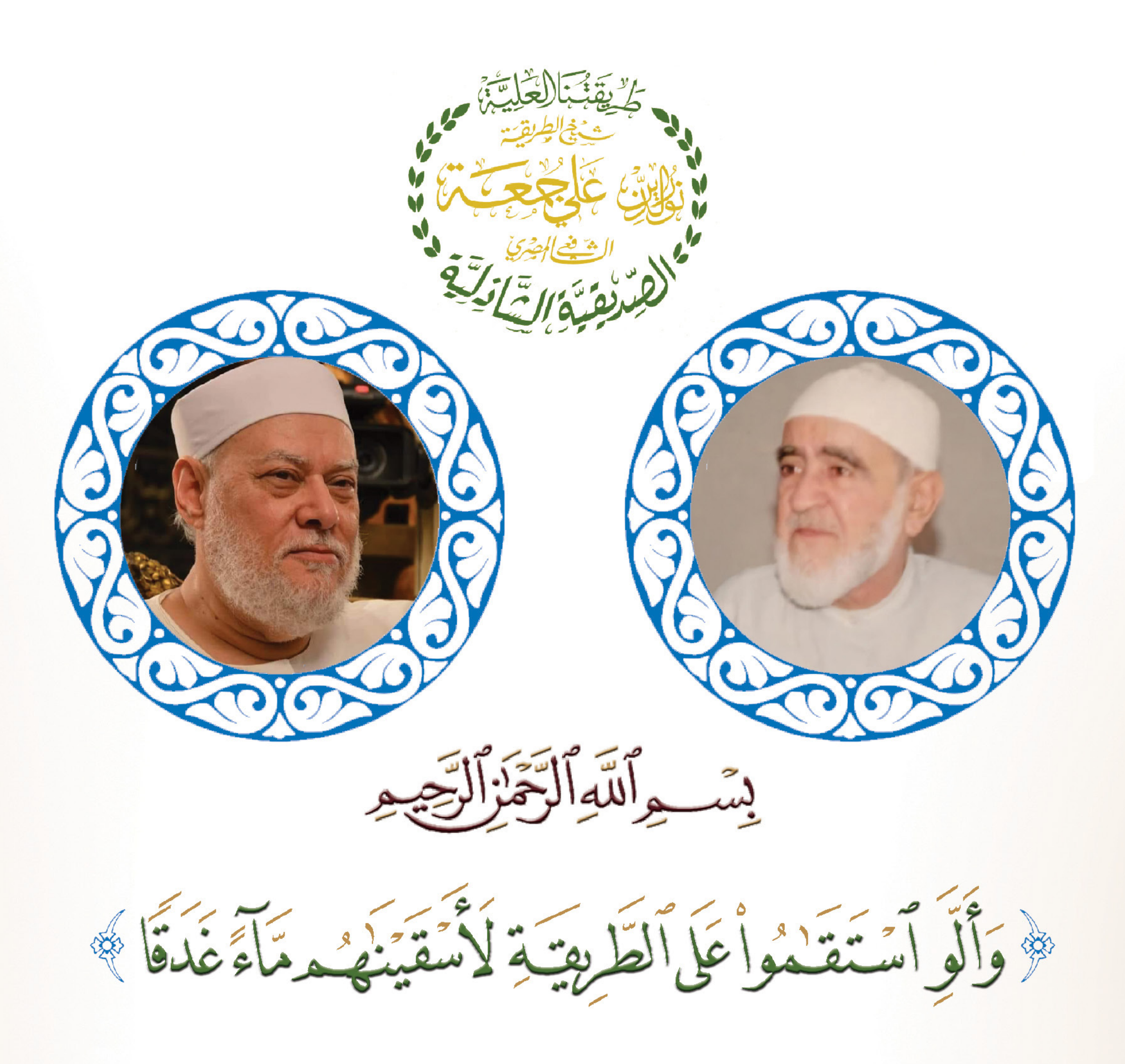


تحت اشراف

الأُستاذ الدّكتور علي جُمعَة

عُضو هَيئَةِ كِبَار العُلَماء بالأَزهَرِ الشَّرِيف





مجلّة سُنِّية صوفيّة الكترونية تصدر عن

مؤسسة الصديقيّة للخدمات الثقافية والاجتماعية

المشهرة برقم ٩٣٢ لسنة ٢٠٢٠

هَيْئَةِ التَّحْرِيْرِ

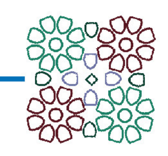
مُحَمَّد عِوَض المَنْقُوْش عَبْدُاللهِ أبُوذِكرِى عَبْدُالعَزِيْز مَعرُوْف

تَصْمِيْم وَتنْسِيْق

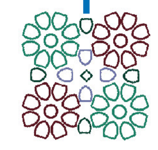
إيمَانْ أشرَفْ عِزَتْ

جميع الحقوق متروكة لنفع المسلمين وقف لله تعالي بشرط عدم تغيير المحتوي الأصلي والإشارة للمصدر

المحتويات



العَدَد: ٦ - ذو الحجّة ١٤٤٣ هـ - يولية ٢٠٢٢ م



١

افتتاحية العدد

أ.د/ علي جمعة

عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

شيخ الطريقة الصديقية الشاذلية

facebook.com/DrAliGomaa

بسم الله الرحمن الرحيم

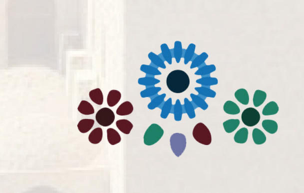
سيدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيّن لنا فقال: «إن في أيام ربكم نفحات فتعرضوا لنفحات الله» وهذه الأيام التي نعيش فيها من نفحات ربنا سبحانه وتعالى، فهي أيام عبادة، وهي أيام ذكر، وهي أيام فرحة، وهي أيام وحدة، وهي أيامٌ يعتز بها المسلم فهي من أيام الله.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصانا بوظائف عدة في تلك الأيام نتعرض لها، حتى نتعرض لنفحات الله سبحانه وتعالى منها ما يأتي في قابل الأيام: يوم عرفة، الحجيج يقفون في عرفة، و «الحج عرفة» فهو ركنٌ يفوت الحج على الحاج إذا تركه، ركنٌ من أركان الحج، يذهبون هناك فيصلون الظهر والعصر جمعًا وقصرًا تقديمًا في عرفة، والإمام يخطب بهم في مسجد نَمِرة في وادي عُرَنة، ووادي عُرَنة ليس من عرفات، فلا يجوز الوقوف فيه، وبعدما ينتهي المسلمون ممن صلوا مع الإمام ينتقلون خطوةً واحدة فيكونون في عرفة، فبين نمرة وعرفة خطٌ واحد، يقفون من أجل الذكر، وقراءة القرآن، والدعاء، والالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى، وتنقية القلوب، يقفون فتتباهى بهم الملائكة، وقد تجرّدوا من ثيابهم، يقفون لتتعلق قلوبهم الضارعة برب العالمين {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى} رب العالمين، وما أدراك ما

رب العالمين، الذي أحياك وهو يُميتك، والذي يرزقك، وهو يشفيك.

فتعلق القلوب ابتداءً من صلاة الظهر تعلقًا خاصًا، ولذلك ونحن هنا فإننا نصوم هذا اليوم، ولا يُستحب الصيام للحاج حتى يتقوى على أعمال الحج، وعلى الذكر، ولكن يُستحب الصيام لنا هنا نشارك إخواننا التضرع إلى الله، فيوم عرفة من وظائفه أن تصومه، وللصائم دعوةٌ مستجابة، وللصائم فرحتان، وبعد ظهر يوم عرفة إن شاء الله نبدأ تكبير العيد، ولما دخل الشافعي مصر وجدهم يُكبّرون الله سبحانه وتعالى هذا التكبير البديع الذي نُكبّره إلى يوم الناس هذا «الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرةً وأصيلا، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»، ثم زادوا عليها الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فصلوا عليه، وعلى أهله، وعلى أزواجه، وعلى أنصاره، وعلى أتباعه، وعلى ذريته إلى يوم الدين استحسن الشافعي ذلك، وقال: «فإن كبّروا بما يُكبّر الناس عليه اليوم فحسن» فسار المصريون على هذه السنة وشاعت عنهم، وهكذا نكبّر بعد كل صلاة، ابتداءً من ظهر يوم عرفة، حيث ينتهي المسلمون من صلاة الظهر والعصر مع الإمام، ثم يدخلون عرفة ابتداءً من الظهر، وانتهاءً بالمغرب يجمعون بين لحظةٍ من النهار ولحظةٍ من الليل، ثم يدفعون إلى المزدلفة.

وفي هذه المدة وتلك الساعات فالوظيفة لهم الدعاء والذكر، والوظيفة عندنا أيضًا الدعاء والذكر، فنصوم إن شاء الله، ونذكر ابتداءً مما بعد صلاة الظهر بعد كل صلاة إلى عصر آخر يومٍ من أيام التشريق الثلاثة، أي بعد عصر رابع يومٍ من أيام العيد، ومن وظائف هذه الأيام أن نُفطر فيها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «هذه أيام أكلٍ وشرب» وحرّم فيها الصيام فنهى عن صيام خمسة أيام: عن يوم عيد الفطر، وعن يوم عيد الأضحى، وعن ثلاثة أيام التشريق، ونهيه هنا حُمل عند العلماء على الوجوب، فالصيام حرام في تلك الأيام، فهي أيام أكلٍ وشرب، أيام عبادة، وفي نفس الوقت يفرح المسلم بالعبادة، ويفرح بشيءٍ من اللهو البريء، لأن هذا يوم عيد، وتلك أيام أكلٍ وشرب.





تصحيح الحديث بالكشف عند الصوفية وموقف المحدثين منه

الشيخ / محمد يحيي الكتاني الأزهري

من علماء الأزهر الشريف

facebook.com/mohamedyehiaalkettani



أولا: مكانة الحديث النبوى عند الصوفية:

أخرج أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم عن معاوية بن أبي سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك».

وقد اختلف أهل العلم فى المراد بهذه الطائفة، فمن قائلٍ: هُم المحدثون خاصة، ومن قائل: هم أهل السنة والجماعة، وقال جماعة من أهل العلم: «هم الصوفية».

والحقيقة أن هذه الاقوال لا تناقض بينها، فهي من قبيل اختلاف العبارات لا اختلاف الاعتبارات، وهذا الاختلاف من قبيل اختلاف التنوع لا اختلاف تضاد؛ لأن هذه الطائفة هم العلماء المجتهدون المحدثون الصوفية أهل السنة والجماعة بمجموعهم، كما حقق ذلك السيد عبد الله بن الصديق فى «الأجوبة الصارفة لإشكال حديث الطائفة» حيث قال: «إن العالم على الحقيقة والعرف والاصطلاح، هو الذى يعرف الحق بدليله، وذلك لا يكون إلا مع الاجتهاد، وهو لا يتصور إلا بمعرفة الحديث، ولا يكون من جمع هذه الشروط كلها إلا من أهل السنة والجماعة؛ لأنه ليس فى القرآن والحديث إلا الحق الذى هو المقصود بمذهب أهل السنة والجماعة، ومن جمع هذه الشروط كلها فهو الصوفي؛ لأن الصوفى هو العالم العامل بعلمه على وجه الإخلاص، وتتمثل ثمرة الإخلاص في ما يجريه الله على يديه مِن كرامات ويظهره له من أنوار ومعارف.»

وإذا كان ذلك كذلك، فإن الصوفية هم الراشدون فى هذه الأمة القائمون بالحق الحاملون لمشاعل النور والهداية فى كل أصقاع الأرض الدَّالون على الله، الباذلون من أجل دينهم النفس والنفيس، وإن دورهم فى خدمة العلم الشريف على العموم والحديث النبوي على الخصوص لا ينكره منصف ولا يجهله محقق.

كيف؟ ومدار الحديث الشريف على الذات المحمدية قولا وفعلا وصفات خلقية وخلقية، فهو أدعى لتعلق الصوفية به لما له من تعلق بالمحبوب الأعظم والنبي الأكرم، فهو صلى الله عليه وآله وسلم حياة أرواحهم وشفاء أشباحهم، فالتعلق بحديثه تعلق به، والخدمة لحديثه خدمة لجلالة النبوة على حد قول القائل مما أنشده بعضهم:

لم أسعَ فى طَلب الحديثِ لسمعَةٍ
أو لاجتماعِ قديمه وحديثه
لكن إذا فات المحب لقاء من
يهوى تعلَّلَ باستماع حديثِه

وليس صحيحًا ما يقال أن التصوف بعيدٌ عَن الهدي المحمدي، وأن الصوفية أكثر الناس انصرافًا عن طلب الحديث النبوي، كيف ذلك؟!! وكتبهم طافحة بضرورة تعلم الحديث ونشره وخدمته بكل الوسائل واعتبار ذلك من أقرب القربات إلى الله تعالى، ألم يقل سيد الطائفة الجنيد البغدادى رحمه الله تعالى: «من لم يحفظ القرآن ويقرأ الحديث، فليس له أن يسلك طريقنا »؟

وقال الإمام القطب الشعرانى فى العهود المحمدية «أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن لا نتهور في رواية الحديث، بل نتثبت فى رواية كل حديث نرويه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا نرويه عنه إلا إذا كان لنا به رواية صحيحة......» ثم ختم كلامه بقوله: فتعلّم يا أخي علم الحديث؛ لتخرج من الوقوع فى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولو بغير قصد»والله أعلم ا.هـ

بل اعتبر الشيخ الاكبر محى الدين بن العربى أن من لم يتعلم الحديث ليس عالما ولا يحشر فى زمرتهم، ولا يحوز الفضل الوارد في العلم إلا المحدثون حملة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن عداهم يحشر فى زمرة العوام، فإن كان له عمل صالح تميز به، وإلا فهو من جملة العوام، وهذا ما قاله الإمام الشافعي رضي الله عنه:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة
إلا الحديث وعلم الفقه فى الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا
وما سوى ذاك وسواس الشياطين

وفى العصور المتأخرة لمَّا تخلف الناس عن اعتماد الحديث النبوي والاهتمام به، والعمل بأحكامه، وإهمال الاشتغال به رواية ودراية كان ساداتنا من علماء الصوفية يصدعون ويصدحون في مؤلفاتهم وعلى منابرهم وبين مريديهم بضرورة العودة إلى الحديث النبوي والاشتغال به.

قال السيد الإمام محمد بن عبد الكبير الكتانى رضى الله عنه المستشهد سنة ١٣٢٧ فى رسالة المؤاخاة: «ومن أسباب انحطاط المسلمين عدم العمل على كتب الحديث في

باب التأديب والتهذيب والأخلاق والمعاشرة والرقائق والآداب، وأما الأحكام الحلال أو الحرام، فعلى صحيح المذهب، وكل هذا التوحش جاء الناس من عدم مخالطتهم للورثة المحمد يين العالمين بالله و بأحكامه».

ثانيا : التصحيح بالكشف عند الصوفية

ومع ذلك كله فإن الصوفية ظلت محل إنكار بعض الجاهلين فرموهم بإتهامات واتخذوهم أغراضا وتلذذوا بأكل لحومهم وادعوا أن الصوفية ليسوا على منهج المحدثين من أهل السنة، وأنهم انفردوا بمسائل لم يعتمدها العلماء وأصَّلوا لقواعد مبتدعة لم يتكلم بها المتقدمون ولم يقبلها المتأخرون، فالمعروف أن قبول الحديث يتحقق بالنظر فى إسناده ومتنه ومعرفة حال رواته.

أما الصوفية فصححوا وضعفوا بالكشف والإلهام والمنامات والتجارب وهو مما لم ينزل الله به سلطانا.

والحقيقة أن الامر يحتاج إلى بعض البيان من أجل دفع هذه الشبهة.

أولًا ما هو الكشف؟

يقول الشريف الجرجاني: الكشف: هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودا وشهودا»، ويعرفه سيدي زروق قائلا: الكشف – في أبسط صوره – هو معرفة الحق، أو اكتشاف الحقيقة، إنه إدراك أن لا حقيقة لشيء غير (الحقيقة المطلقة)، بعد زوال حجاب الجهل من على البصر.

يقول الشيخ عبد الوهاب الشعراني

يقول : « الكشف : هو إخبار بالأمور على ما هي عليه في نفسها ، لا يتغير دنيا ولا أخرى »

أما مسألة التصحيح بالكشف، فمن الضرورى أن نعلم أن الحكم على الأخبار عن طريق الكشف، هو مبني على أصول اعتمدها الصوفية اختلفوا فيها مع أهل الظاهر كما يسمونهم فقد اعتمد الصوفية عدة مسائل بنوا عليها مذهبهم فى الحكم على الحديث أو الخبر بالكشف وغيره منها:

١– مسألة رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والاجتماع به يقظة وهي مسألة اختُلِفَ فيها كثيرًا، وقد ألَّفَ في نُصرتها وجوازها عدد من أهل العلم كالإمام السيوطى فى تنوير الحلك وابن مغيزيل فى «النجوم الزاهرة »وشيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي في الفتاوي الحديثية وعدد كبير من أهل العلم استنادا إلى حديث مسلم «من رآني فى المنام فسيراني فى اليقظة ».

٢– المسألة الثانية: وهى مسألة عالم المثال والقول فيه وهو عالم بين اليقظة والمنام، فلا هو منام ولا هو يقظة حقيقية يمكن للعارف من خلاله أن يجتمع بأرواح الكُمَّل، وقد أشار إلى ذلك الحافظ السيوطي في عدد من مؤلفاته، وتلميذه الحافظ الشامي محمد بن يوسف

الصالحي المتوفى ٩٤٢ فى سبل الهدى والرشاد، وقد أفرد هذه المسألة بالتصنيف مولانا العلامة الفقيه المحدث السيد إبراهيم حلمي القادرى السكندري الحنفي المتوفى ساجدا فى آخر ركعة من التراويح لليلة السابع والعشرين من رمضان سنة ١٣٩٠ فى كتاب ماتع سماه «مدارج الحقيقة فى الرابطة عند أهل الطريقة».

٣- المسألة الثالثة أن الحكم على الحديث بالوضع أو الصحة أو غيرهما إنما هو بحسب الظاهر للمحدثين باعتبار الإسناد أو غيره لا باعتبار نفس الأمر، والقطع بجواز أن يكون الصحيح ضعيفا -باعتبار المحدث- أو الضعيف صحيحًا، وقد نصَّ على هذا أهل العلم في مؤلفاتهم كالمقدمة وشروحها والألفية وشروحها، مع اتفاقهم أن المتواتر مطلقا قطعي النسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتفاقا، وقد ذكر ذلك العجلونى فى «كشف الخفا» ثم أعقبه بقوله: « قال الشيخ الأكبر : فرب حديث يكون صحيحًا من طريق رواته حصل لهذا المكاشف أنه غير صحيح، فيعلم وصفه ويترك العمل به، وإنْ عَمِل به أهل النقل لصحة نقله، ورب حديث ترك العمل به لضعف طريق يكون صحيحا فى نفس الأمر لسماع المكاشف له» .ا.هـ

وبهذا يتبين أن البون ليس شاسعا بين ما قاله الصوفية وجوزوه وبين ماقرره علماء الحديث.

وقد استخرجت أثناء مطالعاتى مواضع استأنس بها بعض المحدثين في تصحيح الأحاديث وتعديل الرواة بالكشف والمنامات والتجارب، فمما استأنسوا فيه بالكشف، ماذكره الحافظ السخاوى فى القول البديع عن الحافظ رشيد الدين العطار أنه قال فى حديث الطبرانى عن عبد الرحمن بن سمرة «رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاء وضوءه فاستنقذه من النار» وقد جاء الحديث من طريقين ضعيفين، وقال ابن الجوزي: لا يصح.

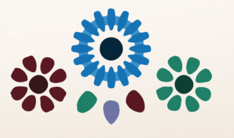
قال السخاوى وقد ذكر الشيخ العارف أبو ثابت محمد بن عبد الملك الأيلي فى كتابه «مذاهب العرفاء بالله» ما معناه «أن هذا الحديث وإن كان غريبا عند أهل الحديث فهو صحيح لا شك فيه ولا ريب حصل له العلم القطعي بصحته من طريق الكشف في كثير من وقائعه وأحواله» قلت: وإيراد السخاوى لكلام أبي ثابت مع عدم التعقيب عليه فيه إشارة إلى اعتماده.

وليس الكشف فقفط بل حتى المنامات فقد ذكر الشوكاني في نيل الأوطار عن السيوطى فى التعقبات قال :»أخرج البيهقي في الشعب عن محمد بن هارون الْفَأْفَاءِ -وكان ثقة صدوقا- قال رأيت فى المنام النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت يا رسول الله حديث علي بن

عاصم الذى يرويه عن ابن سوقة: «مَن عزَّى مُصابًا» هو عنك ؟قال: نعم، وكان محمد بن هارون كلما حدث بهذا الحديث بكى.

وكذلك حكموا بالتجربة ومطابقة الواقع؛ قال السيد عبد العزيز الغمارى فى «الأربعين العزيزية «وقد حكم الحفاظ على كثير من أحاديث الضعفاء بالثبوت لمطابقتها الواقع، وهذا معلوم عندهم مقرر فى كتبهم، بل إنهم ربما يعتمدون على التجربة فى ثبوت الخبر وجواز العمل به كما وقع منهم ذلك فى حديث ابن مسعود فى صلاة الحاجة اثنتا عشرة ركعة يصليهنَّ من ليل أو نهار، والحديث رواه الحاكم من طريق البيهقي، وذكر الحاكم أن جمعًا من رواته جربوه فوجدوه حقا قال الحاكم : «وقد جربته فوجدته حقا»، وقال المنذرى فى الترغيب والترهيب بعد أن ضعف سنده :«والاعتماد في هذا على التجربة لا على الإسناد».

وهذا العلم منهم لا شبهة فيه، وهو موافق للمقرر عندهم فى المصطلح وعلوم الحديث.. وهذا طبعا ليس على اطلاقه ولا بمطرد وإلا لحكمنا على كثير من الأحاديث المتفق على ضعفها بالصحة أوالحسن لمطابقتها للواقع





أقولُ لخلّي والحقائقُ قد بدت
شموساً لعين القلب يا مّن لهُ قلبُ
تجلى لعينِ القلبِ معنىً مجرّدٌ
ولو عشقتْ مجلاهُ لاحتكمَ الريبُ
ولكنها غضّت عن الرسمِ طرفَها
ولم يُلهها كونٌ ولم يُغرها غيبُ
وما علمتْ إلا حقيقةَ كونِها
وما أدركتْ إلا بما أثمرَ القُربُ
فلا السمعُ في حالِ التجلي بسمعها
ولا أبصرت إلا بما حكمَ الحُبُّ
إذا النفلُ أفناها تراها كما بدت
إذا الفرضُ أبقاها تهيم بما تصبو
وتدري بأن الحقَّ جدٌّ مغايرٌ
لكلِّ الذي يبدو، لذا وُجِدَ القُطبُ
فها قد أبنتُ السرَّ فاصدح بما تجد
وقل ما تشا في العبدِ إذ مدحَ الربُّ

الحمد لله بسر حمده، والصلاة والسلام على حبيبه وعبده محمدٍ صاحب الإسراء وآله وصحبه ومن تبعه من الأولياء وبعد...

فأن معرفة الحقائق مجردة عن كل رسم ووصف ونسبة محالٌ، إذ لا يصح تمييز في مثل هذا الحال، وإنما يكون الإدراك لخواص الأشياء لا لحقائقها المجردة، ومن هنا فإن التجلي لابد وأن يكون في الصوَر، كان ذلك التجلي لحقيقة إلهية أو كونية، ثم إن كل صورة ومجلى وإن كانت دالة على المتجلي فيها من وجه فهي حجابٌ من وجهٍ آخر، ولذا فإن معرفة الحقائق

تستلزم العبور لما وراء الصوَر، وهذا مما لا يكون إلا برفع الحُجب الحاصل باستهلاك النفس في المجاهدات والرياضات من العبادات، وهي الفروض والنوافل، وقد فصّلنا الكلام فيها في غير موضعٍ وبخاصة عند ذكر الحديث القدسي: «ما تقرب إليَّ عبدي بأحب مما افترضته عليه، وما زال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها» الحديث.

فثم عبدٌ لله؛ بل عبادٌ له تعالى حصلوا في مقامات القرب، ونالوا رتبة الخلافة بالجعل المذكور في القرآن، وهم الأولياء الأمناء، كشف الله تعالى لهم عن الحقائق فتحققوا بها، وخلعَ عليهم ما شاء من خِلعِ الأسماء والصفات، وهو الذي أعطى كل شيءٍ خلقه ثم هدى، فكملوا رضوان الله عليهم في مقام العلم به، ونالوا حظوظهم من معرفته التي هي مطلب كل مؤمن، لقوله تعالى: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» قال سيدنا عبد الله بن عباس: أي ليعرفوني.

ولما كان الحق تعالى «ليس كمثله شيء» فلا يشبه شيئًا، ولا يشبهه شيء، وكانت الأشياء تتعارف بالمؤتلف وتتناكر بالمختلف، ولا مناسبة بين الحق والخلق تعالى، جعل الله تعالى له خليفةً في الأرض من جنس العالم، وأودع فيه مناسبةً برزخية تكون بين الحق والخلق، فتصح معرفة العبد بربه بالنظر إلى حقيقة الإنسان الكامل، وكان آدم عليه السلام أول الخلفاء، ثم توارث مقام خلافته الأنبياء من بعده والأولياء بعد ختم النبوة بخاتم الأنبياء وسيد الآباء والأبناء سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقد اصطلحوا على تسمية الخليفة بالقطب الفرد الجامع وواحد كل عصر.

فإن سأل سائلٌ وما تلك المناسبة البرزخية؟ قلتُ: الوحدة أولا، ثم ما يلزمها من النورانية والصفاء، فمن طلب معرفة الحق تعالى طلبها بالمناسبة التي بينه وبين تلك الحقيقة البرزخية من الوحدة والنورانية والصفاء، وكذلك ينبغي أن نعلم أنَّ كل مدد إلهي للخلق يكون بواسطتها لعدم احتمال الأغيار نورانية الذات المحضة، إذ كانوا في حضرتها عدمٌ محض، فلما أسدل حجاب العزة الأحمى؛ وهو نور الأنوار وسر الأسرار وحقيقة النبي المختار صلى الله عليه وآله وسلم، حجبَ عن الأعيان الثابتة نور الذات الماحقة فظهرت الموجودات بالرحمة المهداة.

ولبيان ما يُقرِّب إلى الأفهام حقيقة القطب ومعنى القطبانية يلزمنا أن نُجمل ما ذكره أهل هذا الفن وبخاصة الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي رضي الله عنه مما أرادوا نشره وتعريف الناس به من مراتب الولاية.

غير أن الكلام عن مراتب الأولياء يلزمه أصول علمية من لم يعرفها غلط في إدراك مقاصد العلماء، وأول هذه الأصول معرفة كون المراتب نِسب عدمية لا وجود لها

في ذاتها، ومعرفة ما لكل نسبة من أحكام على المنتسبين بها، ولا فخر عندهم بالعدم ولا تفاخر عند العقلاء بالمعار، فلا فخر لعبد بما ظهر به من المراتب؛ بل هي تبعات وأعباء مما يتحمله عباد الله المقربين من البلاء.

ثم إن اعتقاد كون الباطن عبارة عن باطن الظاهر اعتقاد ناقص، حيث نعلم أنه قد يبطن علينا ما لم ندرك له مظهرًا أصلا، وكذا يبطن كثيرا مما لا نسبة بينه وبين ما ظهر، كما لا يصح النظر إلى ما ظهر باعتباره صورة ما بطن، بل الباطن دولة والظاهر دولة، وإن حدث اشتراك بينهما فلا تطابق بالضرورة، ولا يرى عاقل إحاطة أو استيلاء لدولة الباطن على دولة الظاهر وإلا لما صح الحساب لانتفاء الاختيار الذى للعالم الظاهر.

فمن أحكمَ هذه القواعد عَلِمَ أن اتصال الباطن بالظاهر من حيث برزخ ما لا يدركه إلا أهل هذا الذوق، وإن كانت الدنيا برزخا بين ما كان وما يكون.

وبعد ما تقدم ينبغي الانتباه إلى أن كلام الشيخ الأكبر وأهل هذا الطريق عن مراتب الأولياء من باب الكلام عن الحقائق. ومن المعلوم كون الحقائق لا تتغير، ولا تتبدل، ولا تنقلب أعيانها، وإنما التغير في عالم الصور، والحقائق مجردة عن الصورة باقية على أصلها في علم الله.

و كل حقيقة لا بد لها من مظهرٍ؛ بل مظاهر في مراتب العالم كحقيقة الأعداد المجردة، والواحد منشأ العدد، فللواحد حقيقة ثابتة، ولها صور في مراتب العالم المختلفة، ولو لم يكن الأمر كذلك لما علم أحد كنه الواحد، وقد قال الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه:

وفي كل شيءٍ له آيةٌ
تدل على أنه الواحدُ

«قيل هي واحدية الشيء» ثم إن آخر مراتب العالم مرتبة الإنسان، بها تم العالم، وبرفعها عن العالم يتبدل، وذلك بقبض آخر صور هذا الموجود الإنساني. ولحقائق الأعداد صور وتمثلات في مرتبة الإنسان ولا بد، والإنسان اسمٌ لحقيقة كونية كلية ظهرت تلك الحقيقة أول ما ظهرت في آدم عليه السلام، فهو واحد هذا النوع، وقد علَّمه ربه جل وعلا الأسماء كلها، ثم تناسل وتكثرت الصور الآدمية، وحمل منها من حمل ما يتسع لحمله من السر الإنساني، وعلى قدر تحقق الشخص الإنساني بجوهره على قدر رتبته في الإنسانية.

و ثمّ شخص في هذا العالم في كل زمان قد تحقق بحمل سر الإنسان، فذلك هو الواحد الفرد الجامع المتصور في الصورة الآدمية، المتحقق بالحقيقة الإنسانية الكمالية، فهو واحد عصره، وحقيقة الواحد على ما هي عليه لا تتبدل، والواحد الحق هو الله تعالى لا رب غيره، جلَّ أن تكون واحديته واحدية ذوات الأعداد، أما الواحد العدد فمرتبة عدمية لها تأثير وتأثر فيمن انتسب لها أو انتسبت إليه.

وكذلك كل حقيقة؛ كحقيقة العلم فتقول هذا عالِمٌ إذا انتسب إلى العلم، فأثَّرت حقيقة العلم فيه صفةً لم تكن عنده بغير انتساب، وكذلك العلم يتأثر بنسبته إلى شخص العالِم: فتقول فى علم العالِم مِن المخلوقين: علم محدث، وفي علم الله نقول: علم قديم.

ومتى علمنا ما ذُكر فنقول إن للواحد حقيقة جامعة، فإن ظهرت في شخصٍ من أشخاص النوع الإنساني فهو الواحد في جنسه؛ كمن جمع علوم القوم وأسرارهم وأخلاقهم، ومثاله أهل الصنائع؛ كالنجار فلا بد أن يتفاوت أهل هذه الصنعة في معرفتها وإتقانها على درجات ومراتب، ولو بحثت في أهلها لوجدت من هو أعلم وأتقن أهل هذه الصنعة ويكون عليه مدار الصناع سواء علمه الناس أم لم يعلموه؛ فإن علمناه فهو المقدَّمُ وصاحب التلقين، وإن بطَنَ وخفى فرحمة بالصناع حتى يسعى كل صانع إلى نيل مرتبته؛ فذلك هو القطب الفرد الجامع.

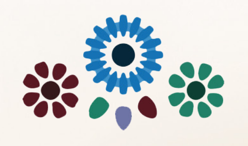
ثم إن للاثنين حقيقة ومرتبة، فحقيقتها جمعيتها، ومرتبتها عبارة عن تكرار الواحد في مرتبتين، وظهور حقيقة الاثنين في العالم إنما هو العبودية والربوبية، وكذا ظهرت في الظاهر والباطن، وظهورها في عالم الإنسان كثير، وفي الولاية تظهر بتكرار الواحد في مرتبتي الظاهر والباطن، فالولي الناظر إلى الظاهر هو الناظر لله في الملك، و الأخَر الناظر في الملكوت فهما الإمامان.

فالأربعة للجهات الأربعة، والسبعة لأقاليم الليل والنهار، والثمانية كحملة العرش، والإثنا عشر لمراتب العدد؛ أعني مراتب الآحاد التسع ثم العشرات فالمئات فالألوف، فهؤلاء اثنتي عشر مرتبة بهم تمت مراتب الأعداد.

ثم الأربعين لسر الكمال، ثم الثلاثمئة للأخلاق «إن لله ثلاثمئة خُلق من تخلق بواحدة منها دخل الجنة» وتجتمع هذه الأخلاق في القطب الآدمي، ولذا قيل أن في كل زمان ثلاثمئة رجل على قدم آدم عليه السلام.

وكذلك ثَمَّ أسرارٌ ملكية للثلاثة، والخمسة، والستة، والتسعة، ولسائر الأعداد، ولكل حقيقة صور وتمثلات في كل مرتبة، فلا نطيل بذكرها حذرًا من الخروج عن القصد الذي هو الكلام عن الحقائق.

والفرد الجامع عبد يجوع ويعطش إلا أنه محل نظر الله للعالم؛ لمحض عبودته وافتقاره، فيرحم الله به العالم فهو سبب رحمة الله بهم، ورزقهم، وحفظهم، وقد جاء فى الحديث النبوي الشريف «إن الله ليحفظ بالرجل أهل بيته وأهل دويرته وأهل بلده»، أو كما قال صلى الله عليه وآله وسلم مما هذا معناه، و قد قال صلى الله عليه وآله وسلم أيضًا: «لا تقوم الساعة وفي الأرض رجل يقول الله الله»؛ وهو ذكر الأقطاب، والله يهدى إلى الصواب.





اللّهم صلِّ أَفْضَلَ صَلَاةٍ
عَلَى أَسْعَدِ مَخْلُوقَاتِك
سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ
وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّم
عَدَدَ مَعْلُومَاتِك وَمِدَادَ كَلِمَاتِكَ
كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ
وَغَفَلَ عَن ذِكْرِهِ الغَافِلُون

ذكرها الإمام الشَّافِعي رَضي الله عنه في الرسالة



ظهرت المبادئ العلمية لعلوم الطاقة الحديثة خلال القرن الماضي ، ولاقت تلك العلوم قبولاً وتأييداً من بعضهم بغير حيطة أو شرط ، واعتراضاً وتوجساً من آخرين دون تحري أو درس .

ونحن ولله الحمد لنا مرجعيتنا المستندة إلى سادتنا ومشايخنا العلماء الذين زرعوا فينا منهج العقلية الفارقة ، وشيخنا رضي الله عنه له مقولة لطيفة في ذلك ، فيقول لنا:

«إن مشايخنا علمونا أن العلم يكون بالقطارة وليس بالكوم ، وذلك تأكيداً على أهمية وضرورة التدقيق والتمحيص ، مما جعل الباحثين يتوقفون عند كل حرف يبحثون شبكة علاقاته بالكامل مع ما قبله وما بعده» .

ونحن على درب سادتنا العلماء إن شاء الله تعالى لا نقبل من العلوم إلا ما كان متفقاً مع مبادئ الشريعة وأصول العقيدة وكان مؤيداً بالنظريات العلمية وبالنتائج التجريبية ، فما تحقق من العلوم بذلك فلا حرج علينا من أن ندرسه ونستفيد من ثمراته ، أما ما خالف الشرع أو صادم العقيدة فلا نرجو منه نفعاً ولا نوصي به أحداً .

موضوعات الطاقة بين الفلسفة والعلم

ونحن حين نتحدث عن موضوعات الطاقة فحديثنا غير منصب على موضوعات الطاقة التي تعتمد الفلسفات البوذية والعقائد الوثنية والطقوس العبثية كاليوجا وغيرها أساساً لها بدعوى التأمل للوصول إلى الصفاء الذهني أو النيرفانا وما شابه ذلك من ممارسات ، والتي ننبه على أنها أمور مختلطة بعقائد وفلسفات وثنية لا يمكن فصلها عن بعض ، حتى وإن ادعى من يمارسونها إنهم إنما يمارسونها من قبيل الرياضة أو على سبيل الاسترخاء والتأمل بعيداً عن فلسفاتها وأصول نشأتها ، فنرد على هؤلاء ونقول لهم إن فعلكم هذا يعد ضرباً من العبث الذي لا مبرر له ولا طائل منه ، كما أن في ديننا الحنيف الغنية عن ذلك كله.

أما حديثنا أساساً منصب على علوم الطاقة المستندة على القواعد والنظريات العلمية ووفقاً للمنهج العلمي الرصين القائم على التجريب ورصد النتائج ، وعبر التأمل والتفكر في آيات الله في كتابه المنظور وهو الكون ، وفي آياته الحكيمة التي أنزلت في كتابه المسطور وهو القرآن الكريم.

تعريف الطاقة

ولكي نبدأ في تأصيل وفهم العلوم المتعلقة بالطاقة فلابد أن نستوعب مفهوم الطّاقة فهي إحدى خصائص المادّة ، والتي يُمكن تحويلها إلى أشكال عديدة فمنها الإشعاعية والحرارية والنووية والمغناطيسية والصوتية والكهربية وأنواع أخرى ، والطاقة كما عرّفها العلماء هي احدى صور الوجود ، والوجود يتكون من مادة وطاقة وهما صنوان أو وجهان لعملة واحدة يمكن أن يتحول كلاً منهما إلى الآخر ، فالطاقة يمكن أن تتحول إلى مادة والمادة يمكن أن تتحول إلى طاقة.

والنظريات العلمية الحديثة مثل نظريات أينشتاين ونظريات الكم تثبت أن المادة ما هي إلا طاقة مكثفة وأن كل شيء حولنا حتى الإنسان ذاته مكون من طاقة بترددات معينة وكما نرى في قانون تحول الطاقة لأينشتاين كيف أن المادة يمكنها أن تتحول إلى طاقة، والعكس صحيح ويحاول العلماء أن يصلوا إليه وحققوا في ذلك خطوات وإن كانت بطيئة .

الطاقة = ك × س^2 أو $E=mc^2$

وهذه الرؤية لا تخالف الحقائق العلمية لأن كل شيء مكون من جزيئات والجزيئات مكونة من ذرات والذرات مكونة من جسيمات وهذه الجسيمات لها طبيعة موجية والموجات ما هي إلا طاقة ، ولو نظرنا لوجدنا أن هذه الجسيمات كالإلكترون مثلاً له خصائص مزدوجة قد تبدو متعارضة فتارة يتصرف كأنه موجة وتارة يتصرف وكأنه جسيم وهذا إن دل فإنما يدل على أن فوق إدراك الإنسان مدركات أخرى لم ترصد بعد حقيقتها ولم يُعلم بعد جوهرها ، فلقد تمكنا بالكاد من رصد بعض آثارها بما أتيح لنا من امكانيات وأجهزة مخبرية ومعملية.

أصل الخلق من طاقة النور المحمدي

يقول الله تعالى في محكم كتابه :

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ) المائدة ١٥

وقد أوردت العديد من تفاسير القرآن الكريم كالطبري والبغوي والقرطبي أن المقصود بالنور هنا هو الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن حصر نور النبي في الجانب المعنوي فقط فقد ضيّق وتعسف ، فنور سيدنا صلى الله عليه وسلم يشمل النور المعنوي والحسي كذلك هذا من جانب ، أما على الجانب الآخر فالنور المحمدي هو أصل الخلق وجوهره ومعدنه يقول تعالى في كتابه الكريم :

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ الزخرف ٨١

فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو أول الخلق خلقاً وعبادة لله تعالى ومن نوره خُلق باقي الخَلق ، يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، كما ورد في رواية التي أوردها الطبري ، قال قتادة : وذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول:

«كُنْتُ أَوَّلَ الأنْبِياءِ فِي الخَلْقِ، وآخِرَهُمْ فِي البَعْثِ»

وفي رواية ابن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«كنت أوّل النّاس في الخلق وآخرهم في البعث»

وقد ذكر العلامة الدردير المالكي في الشرح الصغير بشأن إقراره لمعنى حديث

«أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر»

رأياً يقول فيه : (ونوره) صلي الله عليه وسلم (أصل الأنوار) والأجسام كما قال صلي الله عليه وسلم لجابر رضي الله عنه : « أول ما خلق الله نور نبيك من نوره » الحديث ، فهو الواسطة في جميع المخلوقات .

الإنسان والكون كله طاقة

والعلم يؤيد يا سادة ذلك ولا ينفيه ، فكما أسلفنا أن أصل الأشياء طاقة سمها طاقة نورانية أو نبوية أو محمدية سمها ما شئت أن تسميها إلا أن كل ما يحيط بنا من كائنات وأجرام وعوالم أصله واحد ، أصله النور.

وكما أثبت العلم فكل شيء أصله الطاقة حتى الإنسان فهو مكون من خلايا والخلايا مكونة من جزيئات والجزيئات مكونة من ذرات والذرات تعمل عبر ترددات ويمسك ذلك كله قوى كهرومغناطيسية وأخرى ، والخلايا تعمل عبر الموجات الكهرومغناطيسية كما سنبين لاحقاً ، حيث تنتقل جميع الوظائف والأوامر بين الخلايا بعضها البعض بواسطة موجات الكهرومغناطيسية .

وهذه القوى الكهرومغناطيسية تعمل بترددات معينة وتنتقل في الجسد عبر مسارات مخصوصة عبر الجهاز العصبي للإنسان الذي يتحكم في جميع وظائف الإنسان الفسيولوجية والروحية عبر مسارات محددة ومن خلال مراكز عصبية ، أضف إلى ذلك أن الكون من حولنا عبارة عن طاقات كونية عديدة ذات ترددات ينفعل بها الإنسان وتنفعل به فسبحان من خلق فسوى وقدر فهدى .

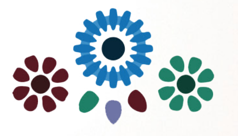
أهل الله يقرون بمبادئ علوم الطاقة الحديثة

ونذكر هنا قولاً لفضيلة الشيخ الدكتور حسن عباس زكي أورده في كتابه (مشاهدات في عالم الملك والملكوت) ما نصه :

«حيث أن جسد الإنسان يتأثر بالأمواج التي ترد إليه سواء كانت تلك الأمواج من فكره أو من الكون المحيط به بصفة عامة وقد أوضحنا

أن الإنسان يعيش في مجالات مغناطيسية كلها طاقات مشعة وفي هذه المجالات يحدث فعل ورد فعل بين الإنسان ونظيره وبين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها وبين الإنسان والكون وكل فكرة أو إحساس أو مشاعر تنتاب الإنسان تنطلق منه وتظل سابحة في المجال الكوني وتؤثر على الإنسان و تتأثر به » .

فالإنسان بهذا المعنى يؤثر ويتأثر بالأمواج الكهرومغناطيسية وبالطاقات الأخرى ذات الترددات المختلفة التي تنبعث منه إلى ما حوله والواردة إليه من كل ما يحيط به بالكون وهذه التأثيرات لها أنماط وصور وآثار مختلفة ومتعددة أدركناها أم لم ندركها سوف نتعرف عليها لاحقاً بمشيئة الله تعالى. وللحديث بقية ... والله تعالى من وراء القصد وهو يهدي السبيل .



٥



مفاهيم خاطئة عن التصوف

(التصوف مجاهدة وعمل لا بطالة وكسل)



د. مختار محسن الأزهري

أمين فتوى بدار الإفتاء المصرية

facebook.com/mokhtar.mohsn

من بين العديد من الشبهات والمفاهيم الخاطئة عن التصوف وأهله تعد هذه الشبهة من أشهر الشبهات عن التصوف في أوساط كثير من الناس، ممن تأثروا بدعايات الجماعات المتطرفة ومن سبقهم من المستشرقين أصحاب التوجهات المعادية للإسلام.

والحقيقة أن التصوف بعيد كل البعد عن شبهة الركون إلى البطالة والكسل؛ لأن السادة الصوفية شأنهم في كل عصر التشمير للطاعة والخدمة لخلق الله، وهذا هو الإمام أبو نعيم المحدث الصوفي في موسوعته حلية الأولياء يعرف التصوف فيقول: « التصوف حمل النفس على الشدائد، الذي هو من أشرف الموارد»[(١)]، ويقول أيضا : « التصوف الإكباب على العمل، تطرقا إلى بلوغ الأمل» .[(٢)]

ولم يقف الأمر عند الصوفية الأوائل إلى مجرد الاكتفاء بالتعريف النظري، بل حققوا ذلك بالسلوك

(١) حلية الأولياء ٤٨/١ لأبي نعيم الأصبهاني ط.دار الكتاب العربي

(٢) حلية الأولياء ٥٥/١

ولم يقف الأمر عند الصوفية الأوائل إلى مجرد الاكتفاء بالتعريف النظري، بل حققوا ذلك بالسلوك العملي، وهذا إمام الصوفية في زمانه الإمام القشيري في تفسيره ينبه على ألا يركن العابد والسالك إلى الراحة في أول أمره كي لا يكون فتنة لغيره قال رحمه الله تعالى: «والعابد إذا جنح عن الأشق وترك الأولى، تعدى ذلك إلى من كان ينشط في المجاهدة فيستوطنون الكسل، ثم يحملهم الفراغ وترك المجاهدة على متابعة الشهوات فيصيرون كما قيل:

إن الشبابَ والفراغَ والجِدَة ...
مفسدةٌ للمرءِ أيُّ مفسدة [٣]

وقد كان ذلك سلوك مشايخ الصوفية الأُول وحالهم مع مريديهم تربيتهم على السعي في الدنيا بعد الوعي بحقيقتها؛ وقد نقل عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال :» قدمت البصرةَ فجلست إلى يونس بن عبيد[٤] فإذا فتيان كأن على رءوسهم الطير فقلت: يا معشر القراء، ارفعوا رءوسكم فقد وضح الطريق، واعملوا ولا تكونوا عالة على الناس فرفع يونس رأسه إليهم، فقال: قوموا فلا أعلمن أحدا منكم جالسني حتى يكسب معاشه من وجهه فتفرقوا، قال سفيان: فوالله ما رأيتهم عنده بعده»[٥].

وإذا كان ما مر هو نهج الصوفية الأوائل فإن منهج التصوف قد تعدى هذه الأعصر الفاضلة

(٣) لطائف الإشارات للقشيري ٦١٧/١ ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب .
(٤) أحد التابعين الكبار ومن أئمة الزهد والعبادة توفي ١٤٠ هـ
(٥) حلية الأولياء ٣٨٢/٦

واستمر مع الصوفية المتأخرين، ففي القرن العاشر الهجري الذي زاد فيه الضعف والتفكك السياسي والاجتماعي في بلاد المسلمين لكن رغم ذلك ظل دعاة التصوف وأئمتهم حريصين على قيم الإسلام وترسيخ مبادئ التصوف في سلوك المريدين يقول الشيخ عبد الوهاب الشعراني نقلا عن شيخه إبراهيم المتبولي «وكان رضي الله عنه يقول: لا أحب الفقير إلا إن كان له حرفة تكفه عن سؤال الناس»[٦].

ومعنى ذلك أن الصوفية ترسخ لديهم عبر أجيالهم المختلفة ضرورة ألا يكون المريد السالك عالة على الخلق، بل لا بد أن يكون ساعيا على معاشه وهو مقبل على ربه.

ولم يقف الأمر عند حرصهم على العمل والسعي في الدنيا بل تعدى ذلك إلى حرصهم الشديد على الوقت وجعلوا الوَحدة التي يقيسون بها الوقت هي النَّفَس!

قال الإمام القشيري: « وبناء هَذَا الأمر وملاكه عَلَى حفظ آداب الشريعة وصون اليد عَنِ المد إِلَى الحرام والشبهة وحفظ الحواس عَنِ المحظورات وعدِّ الأنفاس مَعَ اللَّه تَعَالَى عَنِ الغفلات»[٧].

إذن كانوا يعدون أنفاسهم حرصا على وقتهم أن يضيع في غفلة عن الله عزوجل، وقال الواسطي: أفضل الطاعات حفظ الأوقات وهو أن لا يطالع العبد غير حده،

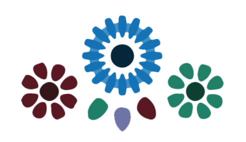
(٦) الطبقات الكبرى للشعراني ٧٧/٢ ط.مكتبة المليجي
(٧) الرسالة القشيرية ٥٨٣/٢

ولا يراقب غير ربه ولا يقارن غير وقته» .[٨]

وقد تحول ذلك إلى منهاج لهؤلاء الصوفية الكرام وأدب يحرصون عليه ليس في حفظ وقت أنفسهم فقط، بل في حق الآخرين حتى لا يكونوا سببا في ضياع أوقات الخلق في غير ما يحبه الله ويرضاه؛ يقول الإمام الشعراني نقلا عن سيدي علي الخواص: «من أدب الزائر أن لا يشغل المزور عن الله تعالى بدخوله عليه إما لقوة حال المزور، وإما أن يكون وقت فراغ، قلت: ويقاس على ذلك تعطيله عن الحرفة التي تكفه عن سؤال الناس» [٩]

ولا يفوتنا أن نذكر ما تقرر في تراث المدرسة الشاذلية التي أسسها سيدنا أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه من الحرص على انشغال المريد السالك بما أقامه الله فيه وألا ينقل نفسه لغير ما أقامه الله فيه إلا بإذن أو تيسير من المولى جل جلاله حتى لا تتعطل معايش الخلق ومنافعهم؛ وهو ما قرره القطب المرسي ونبَّه عليه الشيخ ابن عطاء الله السكندري ليكون منهجا لكل سالك ومريد؛ يقول الشيخ ابن عطاء الله : «دخلت على الشيخ أبي العباس المرسي وفي نفسي العزم على التجريد[١٠]، قائلاً في نفسي إن الوصال إلى الله تعالى على هذه الحالة التي أنا عليها بعيد من الاشتغال بالعلم الظاهر، ووجود المخالطة للناس، فقال لي من غير أن أسئله صحبني إنسانٌ مشتغل بالعلوم الظاهرة ومتصدر فيها فذاق من هذا الطريق شيئًا فجاء إليّ فقال لي يا سيدي أخرج عما أنا فيه وأتفرغ لصحبتك، فقلت له ليس الشأن ذا، ولكن امكث فيما أنت فيه وما قسم الله لك على أيدينا فهو لك واصل» .[١١]

فرضي الله عن أسيادنا الصوفية الذين علمونا مجانبة البطالة والكسل والتشمير للمجاهدة وحسن العمل.



(٨) الرسالة القشيرية ٣٣٢/١

(٩) الطبقات الكبرى للشعراني ١٣٢/٢

(١٠) التجريد:ترك الأسباب والتفرغ لعبادة الله

(١١) إيقاظ الهمم شرح الحكم لابن عجيبة صـ٣٢ ط.دار المعارف.

أعوذ بك من مقام الكاذبين
وإعراض الغافلين
اللهم لك خضعت قلوب العارفين
وذَلَّت لك رقاب المشتاقين
إلهي : هَبْ لي جُودك
وجللني بسترك
واعف عن تقصيري بكرم وجهك

الإمام الشافعي قدس الله سره



وليس الذكر كالأنثى

إيمان الريطب

facebook.com/imaneeriteb



خلق الله الكون على الاختلاف وجعله سُنّة وجودية غايتها التعارف والتكامل. الاختلاف عنوان الإبداع فهو ميزة تُحقق الانتفاع من الطاقات المتنوعة وتَضمن توسعة دائرة المصلحة العامة والخاصة، فكل مخلوق له من الصفات ما يدر به النفع على باقي المخلوقات. نعم، إنه كونٌ تكاملي.

البُنيان البشري عنصر تدور حوله الأكوان، ومن أهم سمات هذا العُنصر العظيم اختلاف صفاته بين الذكر والأنثى، اختلاف فطري جعل بينهم ما يوجب التجاذب الحِسي الذي ضَمن بقاء العنصر البشري وبالتالي عمران الأرض، فلَولا هذا الاختلاف ما بقي نَسل ولا نشأت حضارة.

تختلف صفات المرأة والرجل من زوايا متعددة: جسدية، نفسية، سلوكية. لكن لعلنا نُجملها في صفتين أساسيتين يتضح من خلالهما الكثير من السلوكيات والأفكار وربما ملامح من حكمة بعض الأحكام الشرعية الخاصة بهما.

للأنثى صفة الود (عينٌ فاحصة)

وللذكر صفة القوة (عينٌ حارسة)

من المشاهد التي تلفت أنظار المتأملين في معنى (وليس الذكر كالأنثى) مشهد أصل الخلقة، ذلك الموقف العظيم الذي خلق الله فيه سيدنا آدم من طين ونفخ فيه روحه، ثم خلق من ضلعه أُمَّنا حواء، فكان الطين دلالة على القوة، و الضلع دلالة على الحياة، جنسين مختلفين جعل فيهما ربنا سبحانه وتعالى من الصفات التكوينية ما يتناسب، والمهام المسخران لها، والميادين الملائمة لهما.

صفة الود

كثيراً ما يَذهب الإنسان إلى معاني الإحساس المرهف عند الحديث عن الود، لكنه

معنى وإن حوى من اللطائف الشيء الكثير، إلا أنه وكما عرفه أهل الله هو بذل ما يحب المحبوب. ومعرفة المحبوبات يحتاج عين فاحصة و آليات خاصة: طاقة مشاعر تحفها الحكمة والذكاء، وإدراك للزمان والمكان وتواصل مع الموجودات والمحسوسات، وفن السؤال وإدراك الإجابة، ملكات تجعل المرأة تفهم ما أفْصِح عنه وتستشف ما أُضمِر من المرغوبات. مهمة قد تبدو صعبة وهي فعلًا كذلك في وقتنا الحاضر إلا أنها لم تكن بهذه الصعوبة في الماضي القريب فقد تعامل من قبلنا مع هذه المعاني بسلاسة، لكن وبسبب تغير بيئة نشوء هذه الصفة الخلَّاقة واحتكاكها بشكل كبير ومستدام بمواطن صفات الرجل بدأ الفقد وبدأت الصعوبة !

صفة الود بهذا المعنى عبارة عن ملمات حسية و إدراكات باطنية تجعل المرأة في تواصل مع ذاتها ومحيطها ، تُحسن تقدير مواطن الحركة والسكون، تحسن تقويم اللحظة ومتطلباتها بغير إرهاق فكري ولا إجهاد معنوي، وهذا ما يجعلها طاقة حكيمة تضع الشيء في موضعه.

إنها صفة ودودة تمد بخيوط الصلة والرحمة ولا تسعى إلى الانقطاع عن الكون أو الانفصال عن الروابط الأسرية، فهي صفة تملك من الوعي العاطفي ما يجعلها تحافظ على أواصر الرحم وحقوق الجوار .

فصفة الود تحِب الجمال وتنجذب إلى الذوق وتتقلب في معاني الحسن الظاهرة وتتقلب في معاني الحسن الظاهرة والباطنة فليس من شيء يوقظ شغفها بالحياة إلا كل ما هو جميل من كلمة أو صورة أو سلوك، و ما زال الجمال يَملك عليها لُبَّها حتى استزادت منه في ما حولها فعُرف عنها الزينة والحُلي والعطور وجمال بيتها ونظافة مقرها.

إنها طاقة احتواء عظيمة، وإن كان الرجل بطاقة القوة يحتويها ويحميها من الحوادث الظاهرة فإنها وبطريقة خفية تحتويه وتبث فيه الأمان الباطني، وتبعث فيه اليقين والثبات وتعزز الكرامة والثقة وتحرك فيه مواطن الجسارة، ربما بكلمة تجعل شمس الأمل تشرق من جديد؛ فيسكن إليها ويهرع لحماها في الشدة والرخاء كي تَمده بالقوة التي يحتاجها لمواجهة صعوبات الحياة .

ولنا في موقف السيدة خديجة مع سيدنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم معانٍ أعجزت العقول والقلوب. فلا عجب أن تميل هذه الصفة إلى أن تكون تحت ظل سيادة عظمى، فهي تميل إلى الكمون تحت آيات الجلال، فالمرأة إذا عَظَّمت سيَّدت. إن سكونها هذا وعدم اكتفائها بذاتها يزيدها جمالًا ودلالًا وإلا فأي دلال ستشعر به وهي في مواطن الصدارة، وليس المقصود من الصدارة المشاركة في العمل ولكن المقصود اعتقاد المرأة أنها لا تحتاج سيادة أو حماية أو عين حارسة لها ، تفعل ما تشاء أنَّى شاءت دون اعتبار لشيء إلا ذاتها.

إن هذا السلوك أكثر ما يخدش حياء هذه الصفة الخَلاَّقة، اكتفاءها بذاتها وإظهار عدم احتياجها لقوة أخرى، هذه فكرة تضعف طاقتها وتبعث فيها بواعث الصلابة والخشونة الباطنية. والواقع شاهد على هذه المشاهد، الموازين التي انقلبت والأدوار التي تغيرت، فلا تكاد المرأة تعلم إلى أي أرض تنتمي!

تضرر هذه الصفة عند المرأة شوّش أفكارها وأحاسيسها وجعلها تُقوِّم المواقف من مواطن الرجل، فعكَّرت صفو أفكارها الأوهام، وتمرَّد باطنها على الأحكام، وتزينت بالجلال والروح عطشى إلى رياض الجمال، ومعاني الصلة والدلال.

إن وجودها في غير بيئتها وتحولها إلى موطن القوة والمدافعة جعلها في حالة غضب ، لِمَ هو لا يفعل كذا؟ ولم انا لا افعل كذا ؟ لا فرق بيننا؟ واحساسها صادق لأن الرجل تخلى عن بطولته، الا انه احساس يؤذيها ويشرد بها يومًا بعد يوم عن طبيعتها، ويزيدها انهاكًا وغضبًا وتعبًا. ليس هذا فحسب بل هناك سبب آخر أعمق وأجلّ وهو انقطاعها عن المعاني الربانية والمعارف الإلهية التي تتوافق مع ما تحمله كل أنثى بداخلها ولا تتصل به إلا بمثال حي يسقي معارفها ويبني قصورها ويحيي مذكورها، فلا غنى عن المعونة الظاهرة والباطنة في كلتا الحالتين.

المتأمل بعمق في هذه الصفة يرى أن الشرع الحنيف ما منع المرأة من شيء إلا وكان فيه فيه عدم تناسب مع صفتها كالإمامة بالرجال في الصلاة، ولا أباح لها شيء إلا ودلها على الأنسب منه (وصلاتها في بيتها خير) وهكذا ما من شيء لها أو عليها إلا من بحر الود والوصال، ومن أدرك هذه المعنى وجد في قلبه الرضا عن الله ورسوله.

قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

(تَزوَّجوا الودودَ الولودَ، فإنِّي مكاثِرٌ بِكمُ يومَ القيامةِ)

يأتي السؤال الذي ربما يدور في خاطر القارئ في هذا المقال، أين الرجل من هذا؟

صفة القوة

صفة تجمع معاني القُدرة، التَحمل والمواجهة، طاقة جلالية ميزتها الحماية والرعاية والدفع، بعيدة عن التسلط والتملك، طاقة فاعلة مبادرة غير اتِّكالية ولا انتهازية، تَعرض المساعدة على الأنثى. صفة قوَّامة مُنفقة، تحفظ البيت من العوامل الخارجية، تستر حرمة الأنثى وتَفْديها، لا تدفع بها للمضرة ولا لمواطن الهرج والمشقة.

صفة كبيرة تملك من الرزانة ما يمكنها من اتخاذ القرار، بواقعية وتضبط القرارات المشاعرية حولها، عين حارسة تُقدِّر مشاركة المرأة وتراقبها من بعيد للحماية والتأييد.

صفة جلالية تُقدر البيت وتتفقد أحوال من تُعيل، تصبر على تقلب الأحوال ولا تقابلها بالتبكيت والتعنيف.

تحب من يندرج في حمايتها ويلجأ إليها ويعبِّر عن احتياجه لها. التقدير والتعظيم يلبّي احتياجها ويزيد طاقتها ويَعْبُرُ بها إلى آفاق جديدة.

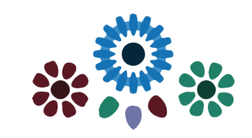
تفر هذه الصفة من الصدام، وتستفزها الإهانة والتوبيخ، تكره الحطّ من قدر الرجولة سواء بالقول أو الفعل أو الإيماءة، وتميل إلى الود وتجد فيه المسكن والملاذ. تضرر هذه الصفة عند الرجل جعله متسلط لاذع أو خاضع خنوع وفي كلتا الحالتين هو اتكالي يعتمد على المرأة ويضع على عاتقها المهام، يفقد حس المسؤولية ويعيش حياة عزوبية موازية للحياة الزوجية فأصبح يميل إلى الرغبة في التدليل بدل التقدير.

تضرر هذه الصفة جعل الرجل كذلك يفقد حس اللياقة واللباقة في تعامله مع الأنثى سواء بنته أو أمّه أو زوجته فهو يراها بعين اليد العاملة للخدمة لا للتأمل والتقدير، غياب هذه الميزة أثَّر سلبًا على المرأة وقلَب عندها موازين المشاعر والأفكار وكذلك القرارات.

تضرر هذه الصفة جعل الرجل يستمد قوته من إهانة المرأة وأذيتها بل ويرى في تقديرها أحيانًا ذلًّا وهوانًا.

نماذج عديدة من أشكال تضرر هذه الصفة قد تجتمع كلها أو بعضها لكن في جميع الأحوال لا غنى عن المثال الحي الدال على مكارم الأخلاق لتعود الأمور إلى نصابها، فيتعلم به المرء مكارم الأخلاق ومقامات النبوة في التعامل مع الأهل، ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)) هكذا قال النبي الكريم العظيم الأمين صلى الله عليه وآله وسلم.

الذكر والانثى كلاهما إنسان، سمته النقصان، ولكنهما متكاملان على بساط الأكوان، تُحللهما المعارف وتُجملهما المعاني، وبغير هذه المباني تسوقهما النفس إلى دروب التيه والشرود عن فطرتهما البشرية وحقيقتهما الربانية.





٧ السادة الصوفيّة وأسانيدهم العليّة (١)

"سماع الحسن البصريّ من سيدنا عليٍّ بن أبي طالب"

أسامة مُحسن

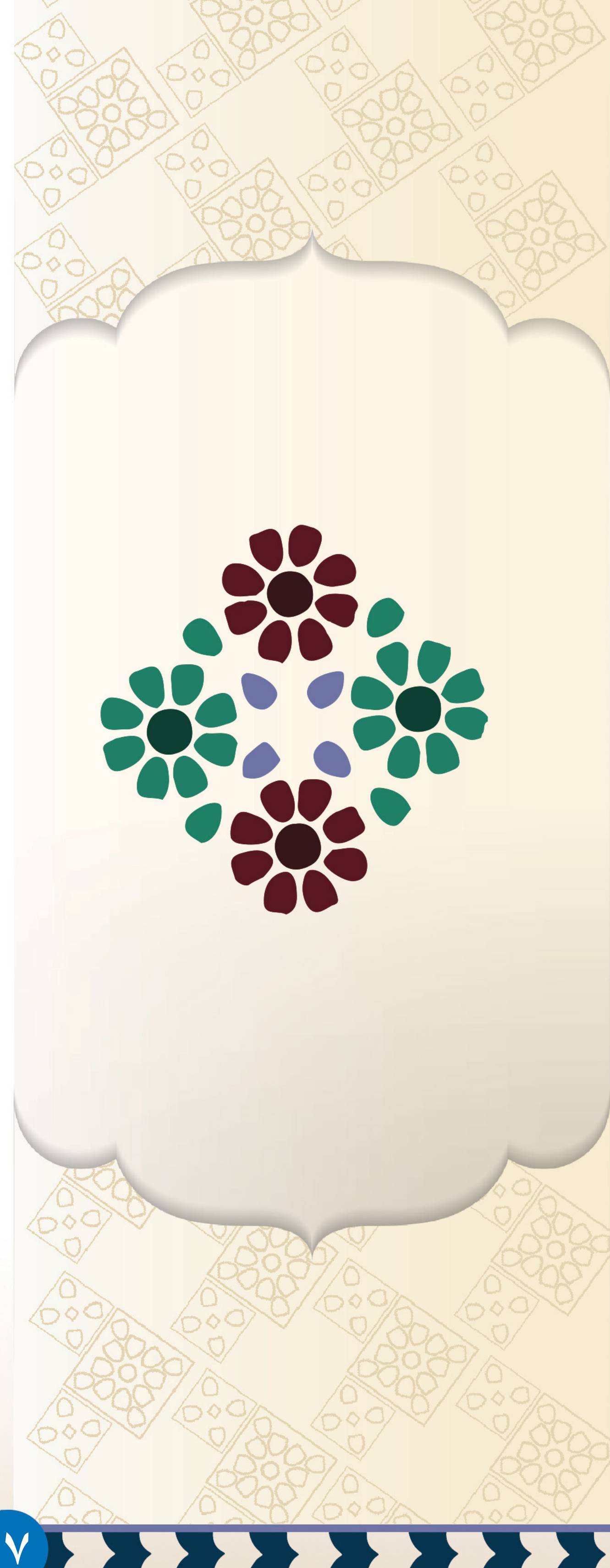
الإسناد من أعظم خصائص هذه الأمة المحمَّديَّة، ومن أكبر منن الله عليها، والتي تميزت به دون غيرها من الأمم، قال الحافظ أبو علي الجياني: «خصَّ الله تعالى هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يُعْطِها مَنْ قبْلها: الإسناد، والأنساب، والإعراب»، وقال عبد الله بن المبارك : «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»، وقد بدت أهمية الإسناد في تحقيق الأحاديث والأخبار، ومعرفة الرواة الناقلين لها، وبالإسناد حُفظت السنة وصانها الله من التحريف والوضع، والزيادة والنقصان؛ فحصل الأمان والاطمئنان إلى صحة النَّص الشرعيّ المنقول في القرآن الكريم والذي نُقل إلينا من خلال أسانيد القراءات، أو في السُّنة النبويَّة الشَّريفة والتي نقلت إلينا من خلال أسانيد الأحاديث، أو في الفقه والذي نقل إلينا عبر المذاهب الفقهيَّة، وهكذا في سائر العلوم، وهكذا كان الأمر في التصوف فلم يكن ابتداعًا في الدين كما يقال عنه، يقول سيّدي الإمام العلَّامة شيخ الطريق وإمام أهل التحقيق نور الدين علي جمعة : «وهنا تأتى الدلالة المهمة في مسألة سلاسل الطرق، والتي حرصت عليها عامة الطرق الصوفية، وهي أنَّهم يريدون أن يعطونا إشارة إلى أنَّ الطريق نقلٌ واتباعٌ واقتداءٌ، وليس هو بأمر عقلي، ولا مخترع»، فكما وصل إلينا الإسلام والإيمان بسندٍ متصلٍ فقد وصل إلينا الإحسان بسندٍ متصلٍ رجاله مقامهم عالٍ كالشموس يستنير بهم السالكين في طريقهم لربِّ العالمين ﷻ ، فاهتم السادة الصوفيَّة بمسألة الإسناد في الطريق إلى الله ﷻ أشدَّ اهتمام، لكن معيار الإسناد عندهم وضابطه هو: الصحبة التي تُنتج الاقتداء والمتابعة، والتي من خلالها يأخذ الشيخ بيد المريد؛ فيحصل الإتصال من شيخ عن شيخ إلى منتهى السند حيث السند الأعظم للعالمين سيدنا محمد ﷺ ، يقول الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر سيدي محي الدين ابن عربي في فتوحاته : «اعلم أنه قد صحَّ وثبت بحكم النقل عند المشايخ، أنَّ عليًّا أمير المؤمنين دخل على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، دُلَّني على أقرب الطرق وأفضلها، فقال رسول الله ﷺ: عليك يا علي بما نلت

ببركة النبوة، فقال عليٌّ: ما هذا يا رسول الله؟ قال ﷺ: ذكر الله تعالى، قال عليٌّ: يا رسول الله، هكذا فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون. قال رسول الله ﷺ: مه يا عليُّ، لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول: الله الله، ثمَّ قال: أحصيت، يا علي، حتى أنا أقوله ثلاث مرات وأنت تسمع مني فإذا أمسكت فقل أنت حتى أنا أسمع منك. هكذا لقَّن رسول الله ﷺ عليًّا، ثمَّ لقَّن عليٌّ عليه السلام الحسن البصريِّ، ثمَّ لقَّن الحسن حبيبًا العجميِّ، ثمَّ لقَّن حبيب داودَ الطائيّ، ثمَّ لقَّن داود معروفًا الكرخيِّ، و لقَّن معروف سريّ السَّقطيِّ، وهو لقَّن أبا القاسم: الجنيد بن محمد البغداديِّ وعلى هذه السلسلة باقي المشايخ رحمهم الله».

لكن أنكر بعضُ العلماءِ سماع الحسن البصريِّ من الإمام عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكرَّم وجهه، مما يعني أنَّ الطرق الصوفيَّة -وليس التصوف- منقطعة الإسناد، وبالتالي فقدت هذه الخصِّيصة التي هي الإتصال، والتي تحقق الأمان في السير، وأنَّ النموذج السلوكيّ المعروف بالطَّريقة الصُّوفيَّة -والتي تكوَّن منها مدارس التَّصوف- ليس لها إسنادٌ، وكل أركان هذه الطريقة من العهد والشيخ المربي وتلقين الذكر والمريد ولبس الخرقة ليس لها أصلٌ يرجع إليه أو سندٌ يعتمدُ عليه، لكنَّ الحافظ المحدِّث الفقيه جلال الدين السيوطيّ رحمه الله تعالى أثبت سماع الحسن البصريّ من عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما، وتبعه في ذلك الفقيه المحدِّث الحجَّة أحمد بن حجر الهيثميّ المكيّ رحمه الله تعالى، فقد سُئل الحافظ ابن حجر الهيثمي نفع الله بعلومه: هل سمع الحسن البصريّ من كلام عليّ كرَّم الله وجهه، حتى يتم للسَّادة الصوفيَّة سندُ خرقتهم وتلقينهم الذكر المروي عنه عن عليٍّ كرم الله وجهه؟ فأجاب بقوله: «اختلف الناس فيه، فأنكره الأكثرون، وأثبته جماعة، قال الحافظ السيوطيّ: وهو الراجح عندي كالحافظ ضياء الدين المقدسيّ في المختارة، والحافظ شيخ الإسلام ابن حجر العسقلانيّ في أطراف المختارة لوجوه، الأول: إنَّ المثبت مقدم على النافي، الثاني: إنَّه ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وميز لسبع وأمر بالصلاة؛ فكان يحضر الجماعة ويصلي خلف عثمان إلى أن قتل، وعليٌّ إذ ذاك بالمدينة يحضر الجماعة كل فرضٍ، ولم يخرج منها إلا بعد قتل عثمان، وسنُّ الحسن إذ ذاك أربع عشرة سنة، فكيف ينكر سماعه منه مع ذلك، وهو يجتمع معه كل يوم بالمسجد خمس مرات مدة سبع سنين؟!، ومن ثَمَّ قال علي بن المدينيّ: «رأى الحسن عليًّا بالمدينة وهو غلام»، وزيادة على ذلك: إن عليًّا كان يزور أمهات المؤمنين، ومنهن أم سلمة والحسن في بيتها، هو وأمه خيرة إذ هي مولاة لها، وكانت أم سلمة رضي الله عنها تُخرجه إلى الصحابة يباركون عليه، وأخرجته إلى عمر رضي الله عنه فدعا له : «اللهم فقِّهه في

الدين وعلِّمه وحببه إلى الناس» ذكره المزيّ، وأسنده العسكريّ، وقد أورد المزيّ في التهذيب من طريق أبي نُعيم: أنَّه سُئل عن قوله : قال رسول الله ﷺ ولم يدركه؟ فقال: كل شيءٍ قلته فيه فهو عن عليّ؛ غير أني في زمان لا أستطيع أن أذكر عليًّا، أي زمان الحجاج، ثُمَّ ذكر الحافظ أحاديث كثيرة، وقعت له من رواية الحسن عن علي كرم الله وجهه. وفي بعضها ورجاله ثقات قول الحسن: سمعت عليًّا يقول : قال رسول الله ﷺ : « مثل أمتي مثل المطر...» الحديث. اهـ

قال أبوزرعة : «كان الحسن البصري يوم بويع لعليٍّ ابن أربع عشرة سنة، ورأى عليًّا بالمدينة ثم خرج علي رضي الله عنه إلى الكوفة والبصرة ولم يلقه الحسن بعد ذلك»، ومن هذه الرواية حمل العلماء قول النافي لسماع الحسن البصري من سيدنا عليٍّ على ما بعد خروجه من المدينة وبهذا يزول الإشكال ويرتفع، ويكون الجمع بين القولين متحقق والحيثيَّة التي تجمع بين صحة قول المثبت والنافي لسماع الحسن البصريّ عن سيدنا عليٍّ كرَّم الله وجهه هو (خروج سيدنا عليّ ــ كرم الله وجهه ــ من المدينة إلى الكوفة) فقد كانت كالحد الفاصل بين السماع وعدمه، فما قبل هذا الخروج كان سماع الحسن البصري من سيدنا علي وبعد خروجه لم يسمع الحسن البصري من سيدنا عليٍّ شيئًا. (يتبع إن شاء الله)

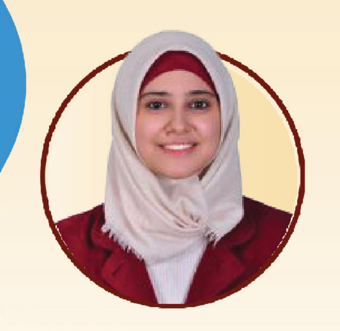




اَللّٰهُمَّ صَلِّ صَلَاةً كَامِلَةً
وَسَلِّمْ سَلَامًا تَامًّا عَلَىٰ نَبِيٍّ
تَنْحَلُّ بِهِ الْعُقَدُ
وَتَنْفَرِجُ بِهِ الْكُرَبُ
وَتُقْضَىٰ بِهِ الْحَوَائِجُ
وَتُنَالُ بِهِ الرَّغَائِبُ وَحُسْنُ الْخَوَاتِيمِ
وَيُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ الْكَرِيْمِ
وَعَلَىٰ آلِهْ

وتُسَمَّى بالتفريجيَّة والتازيَّة والناريَّة
من ذكر بها عدد ٤٤٤٤ مرَّة فى حاجة
قضاها الله تعالى له كائنة ما كانت
عن مولاى أبو إسحاق إبراهيم بن محمد التازى الوهرانى قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ

٨ امرأةٌ بِحقّ



خديجة أحمد تيسير

facebook.com/Khadija.alshazoliya

لطالما كتب المؤلفون عن المرأة وحاولوا وصفها ومدحها والثناء على دورها في المجتمع خيراً، وهم على وصفهم وثنائهم ما يزالون بعيدين عن الحقيقة فكيف لقطرةٍ خرجت من البحر الواسع أن تنجح في وصف ذلك البحر وتوضيح حقيقته وهي قطرة؟ ولئن أجادت أقلامهم في الثناء على المرأة فهي عندما تصل إلى الحديث عن الأم تجفّ وتنضب وتعلن عجزها على الملأ حتى أننا تعلمنا من التاريخ أن كل عظيم عرفناه فإنّ خلفه أمّ سواء ذُكرت أم لا ففي ذكر مَن ربّت ذكرٌ لها على أي حال.

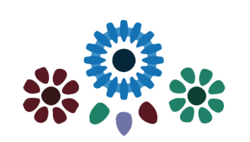
فمن لا يعرف اليوم الإمام مالك بن أنس؟ إمام المذهب المالكي الذي حُفظ وانتشر أتباعه شرقًا وغربًا، ذلك الإمام الذي كاد في طفولته أن يحترف الغناء ويتخذه سبيله وصنعته! ولكن الأم العاقلة الحكيمة السيدة عالية بنت شريك الأزدية راقبت ولاحظت، فأسرعت بأداء دورها في التربية والإرشاد والتعليم، لعبت دورًا جوهريًا في حياة الإمام فنصحته ووجهته ونفّرته من مسلك الغناء واللهو وزرعت فيه الرغبة في الالتحاق بالعلم والعلماء حتى أنها كانت تلبسه أحسن الثياب وتعمّمه وترسله إلى حضور مجالس العلماء. وفي ذلك يقول الإمام مالك : «فألبستني ثيابا مشمرة، ووضعت الطويلة على رأسي – أي القلنسوة الطويلة – وعممتني فوقها، ثم قالت: اذهب فاكتب الآن» ولم تكتف بذلك بل كانت قد بلغت من الوعي والحكمة ما جعلها تنتقي له من علماء عصره وتوجهه أن يقصده وتقول له : « يابني، ائت مجلس ربيعة، فتعلم من سمته وأدبه قبل أن تتعلم من حديثه وفقهه»، وسرعان ما تعلق قلب الطفل مالك بالعلم وطلبه حتى أصبح الإمام مالك الذي تشدّ إليه الرحال من كل بقاع الأرض.

مَن منّا لا يعرف الإمام الشافعي ؟ محمد بن إدريس الإمام البحر صاحب المذهب الشافعي الذي عاشت أقواله وكتبه وأبحاثه حتى يومنا هذا وكأنه فينا ما زال يكتبها وينشرها بين الناس! عندما بلغ الإمام الشافعي الرابعة عشرة من عمره وكان قد أتم حفظ القرآن الكريم وأتقن اللغة العربية أيما إتقان وتوسع في طلب العلم حتى حفظ موطأ الإمام مالك، فقصده ليطلب العلم

عليه وبعد حوار أجراه معه الإمام مالك ذو الفراسة رأى فيه علامات النبوغ والتميّز فقال له : «يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأن»، ولكنني أدرك تماما أن هناك مَن رأى ما رآه الإمام مالك في الشافعي ولكن قبله بسنوات عدة، فلم يكن هذا النبوغ والتميز ليظهر فجأة مرة واحدة بل لابدّ أن تسبقه علامات وإشارات لا يلحظها أحد كالأم! نعم تلك السيدة فاطمة بنت عبد الله الأزدية التي تزوجت السيد إدريس بن العباس المطّلبي وأنجبت منه محمدًا، فما لبث أن توفي عنها زوجها وهم في مدينة غزّة، فارتحلت مع طفلها إلى مكة حيث أصله وأقاربه وأهله، وبدأت تلاحظ على طفلها الذي ينطق عباراته الأولى علامات الذكاء والنبوغ ففرحت بذلك فرحا شديدًا واستبشرت به خيرًا ودعت ربها أن يجعله ذخرًا لها وللأمة معها. يقول الإمام الشافعي : « كنت يتيما في حِجْرِ أمي فدفعَتني إلى الكُتّاب ولم يكن عندها تُعْطِي المعلمَ، وكان المعلمُ قد رضي مني أن أَخلُفَهُ إذا قام». أرسلته أمه ليخطو خطواته الأولى في طريقه المضيء وهم في حال لا يملكون فيه أن يدفعوا إلى المعلم، وقد اكتفى معلمه حينئذ بأن يستفيد من محمد الصغير بأن يكون مشرفًا على الأطفال في غياب معلمهم، ويقول إمامنا أيضا : « لم يكن عند أمي ما تعطيني أشتري به القراطيس، فكنت أنظر إلى العظم فآخذه فأكتب فيه»، تدفعه إلى العلم وتحضه على حضور مجالس العلماء وهي عاجزة عن شراء الأوراق له ليكتب عليها، ولكنّ الطفل الذكي كان يجد له وسيلة للكتابة ويحتال على الأمور المادية لينال تلك المكانة السامية الراقية التي لا تشترى بكنوز الأرض. السيدة عالية والسيدة فاطمة كل واحدة منهما كانت تؤمن أن لابنها هذا شأن، أخذت بيده ووضعته في بداية الطريق رغم كل المصاعب ورغم كل المعوقات ولم تلتفت، فإن السعي كان لغاية عظيمة جمعتا فيه خيرَي الدنيا والآخرة فكانوا من سعداء الدارين وكانتا «أستاذ الأساتذة» بحق كما وصف شاعر النيل حافظ إبراهيم الأم في شعره :

الأم أستاذ الأساتذة الألى ...
شغلَت مآثرهم مدى الآفاق

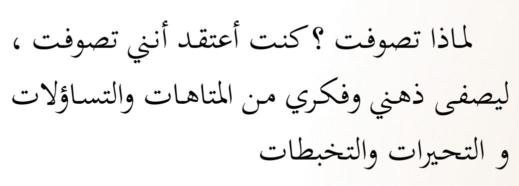
اللهم ارضَ عن أئمتنا الكرام مالك والشافعي وعن السيدتين الفاضلتين عالية وفاطمة واجزهما عن الأمة الإسلامية خير الجزاء.



٩ لماذا تصوفت ؟

إيمان فتح الله

facebook.com/just.iman.3



لماذا تصوفت ؟ كنت أعتقد أنني تصوفت ، ليصفى ذهني وفكري من المتاهات والتساؤلات و التحيرات والتخبطات

كنت أظن أني تصوفت لأعوض ما فاتني في جهلٍ ولأصحح ما أعياني من عقائد مسمومة

ظننت أنني تصوفت لأفطم روحي من اليُتم والوَحشة والغُربة .

وهذا الذي ظننته على «عتبة الطريق» لم يكن سرابًا , إنما هو حقيقة جميلة واقعة مرصودة وأكيدة ..

وإنما ..

جوهر التصوف ومعايشته تتعدى كل تلك الظنون وتفوق التوقعات والتخيلات والمقالات ؛ فإنني قد تيقنت أني في اللحظة التي كتب الله لي فيها أن أسلك الطريق وتطأ فيه قدمي أول خطوة , أنه سبحانه قد منَ عليَ بدخول جنة الأرض , وما أدراك ما جنة هذه الأرض ! هذه الأرض التي كتب الله فيها الكبَد .

هي جنة , والكلمة وحدها تحوي كل المعاني والشروح , جنة : لأن فيها مقصود الكل هو الله الأعلى الأجل ، ولأن تعطُش الذات لمعرفة رب السماوات يرتوي فيثمر ثمار المحبة والتحقق بالعبودية والأدب والمعية .

هي جنة ، فلا ذلك الكبَد فيها ولا ألم ولا حزن ، تدور الأحداث والنوازل والمصائب ، وقلب السالك العارف يظل في سكون وسكينة في ثبات واتزان وأمان

هي جنة ، ففي كل معرفة بها نستزيد ومع كل حجاب يزول وبكل غمامة من على القلب تُزاح ، نعيش ما لا عين رأت ولا أذِن سمعت ولا خطر على قلب بشر فجنة الآخرة

ما أصبحت جنة : إلا لملازمة حبيب الفؤاد رسول الله ملازمة سرمدية ، إلا برؤية ومعية رب العالمين في خلود وأبدية ، فما أن تحدث تلك الملازمة والرؤية والوصل والشهود لأهل الله وهم لا زالوا من أهل الأرض على الأرض ، فما تبقى من الجنة ؟

لا شيء .. فقد تنعموا بها وعاشوها قبل أن يعيشوها

تسائلت لماذا نحتاج التصوف في حياتنا ؟

لأننا نحتاج رسول الله ، كل ذرة في كياننا تتوق شوقًا واحتياجًا لـ رسول الله

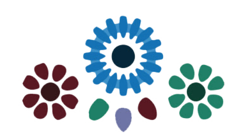
وتعجبت من كل نَفَسٍ خرج مني كيف صار وتم قبل أن أتنفس حب رسول الله !

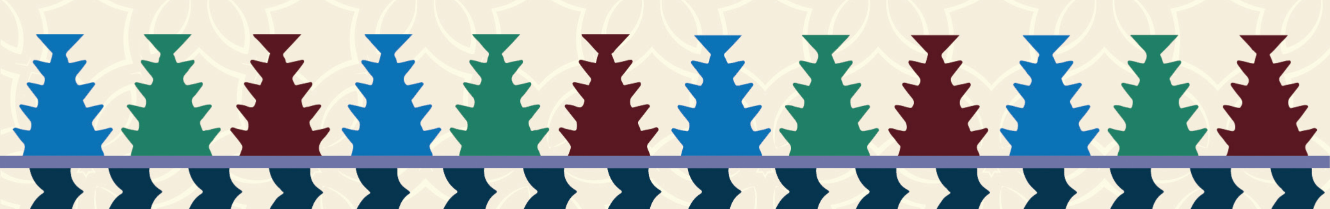
أدركت قبل الطريق أن ذلك العبد الذي اختاره الله رسولًا وصفيًا وحبيبًا بجانب اسمه الأعظم في شهادة النجاة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) أنه سر الوصول وباب الدخول

حاولت أن أتعلق بصاحب السر وأزيد من تعلقي وحبي له ولكن لم أصل لما كنت أصبو إليه ، كانت هناك دائمًا حلقة غامضة مفقودة

فبحثت كثيرًا في عبارات الخلق وأشعارهم وبكائهم وأنينهم , لم أجد أصدق من كلمةٍ خرجت من محبٍ في طريق الله موصول به أو اتصل بمن اتصلوا به وهذا لم أجده سوى عند ساداتنا الصوفية الذي فني وجودهم وتشكلوا بذراتٍ من جمال أجمل خلق ِالله

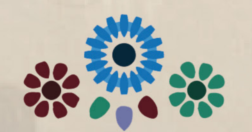
تصوفت لأتصل وأتلمس وألتمس ممن اتصلوا ووصلوا ، تصوفت حتى أجد الحلقة المفقودة : حلقة الوصل والسند الذي به محياي وفيه نجاتي



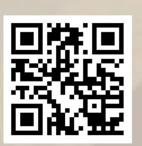


يـا مـن تعـاظـم حتى رقّ مـعنـاه
ولا تــردّى رداء الكِبْــرِ إلا هُــو
تــاهــو بحبـك أقــوام وأنـت لهـم
نعم الحبيـب وإن هـاموا وإن تاهوا
ولي حبيــب عــزيـز لا أبــوح بـه
أخشى فضيحة وجهي يـوم ألـقاه
قالوا أتنسى الذي تهوى فقلت لهم
يا قوم من هو روحي كيف أنساه
ما غاب عنّي ولكن لست أبصره
إلا وقلت جهــارًا قـل هـــو اللّه

الإمام الرفاعي



صور الكود للدخول
لموقع الصديقيّة





https://siddiqiya.com/info

